لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

وهناك الفاظٌ وصيغٌ غريبة انفرد بها بعض كتّابنا منها عن زيادة تأنقٍ ومغالاةٍ في طلب الإغراب فيخبطون في استعمال الفاظ اللغة الى ما يخرجها عن وضعها ويكسوها ثوباً من القلق والابهام ومنها عن قلةٍ في المادة وجهلٍ بمفرادت اللغة ووجوه استعمالها فيأتي بها الكلام في منتهى الركاكة والسقم . والامثلة من الطرفين كثيرةٌ نجتزئ بايراد بعضها عبرةً للمنتقد وتنبيهاً للمقلد

فمن امثلة الاولى قول القائل « ان تلك السجون كانت منبت الاوبآء ومبترَك الامراض » ولفظ المبترك كما تراهُ غريبٌ في هذا الموضع لا يكاد يُستخرَج لهُ معنًى الا بعد اطالة البحث وتقليب النظر فيما يوافقهُ من التفسير اللغويّ ولعلّ اقرب ما يأوَّل بهِ ان يُجعَل من قولهم ابترك السحاب اذا الحّ بالمطر فكأنَّ المعنى ان الامراضَ تلحّ فيها على المسجونين . ولا يخفى ما في هذا التفسير من التكلف والبعد فضلاً عن ايراد مثل هذه اللفظة في جريدةٍ يقرأها التاجر والصانع والفلاح فما ضرّهُ لو قال ومستقرّ الامراض او مستوطَن الامراض وكفى نفسهُ وقرّاءهُ هذا العنت الوبيل

ومن ذلك قولهُ « اثبتت حقوقها بما لم يعد معهُ للريب بال » . قال في القاموس البال الحال والخاطر والقلب والحوت العظيم والمَرّ الذي يُعتمَل بهِ في ارض الزرع ورخآء العيش وانظر ايها يناسب هذا الموضع

وقولهُ « دخان المعامل وعِثيَر ايدي الصناع » اي ما يثيرونهُ من الغبار

بايديهم والعِثير مخصوصٌ بالغبار الذي تثيرهُ الارجل في المشي الا اذا اراد ان اولئك الصناع كانوا يمشون على ايديهم

ومن تلك الامثلة قول الآخر « نشبت الحرب وألقت اوزارها » يريد بقولهِ القت اوزارها تقوية الجملة الاولى التي هي قولهُ نشبت الحرب لظنهِ ان الجملتين بمعنى واحد وهو وهمٌ بيّن فان الاوزار جمع وِزر بالكسر بمعنى الثقل ويراد باوزار الحرب العُدَد والاسلحة التي تباشَر بها وظاهرٌ أن القآء الاسلحة مفهومهُ ترك الحرب ومنهُ في سورة محمد « حتى تَضَع الحرب اوزارها » قال البيضاوي اي آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكُراع اي تنقضي الحرب . اه

ومن هذا القبيل قول الآخر اخنى عليهم الدهر بكلكلهِ وهو من مضحكات الكلام فانهُ يقال اخنى عليهم الدهر اي اهلكهم واتى عليهم والكلكل الصدر ولا معنى لان يقال اهلكهم الدهر بصدرهِ وكأَن هذه العبارة تحرفت على الكاتب لانهُ يقال اناخ عليهم الدهر بكلكلهِ على تشبيه الدهر بالبعير اذا برك بصدرهِ على الشيء ويقال ايضاً طحنهم الدهر بكلكلهِ وجرّ عليهم كلاكلهُ قال

اذا ما الدهر جرّ على أُناسٍ　　كلاكلهُ اناخ بآخرينا

ومن ذلك قول الآخر « بسطت اسباب العمران رواقها » وهو من التراكيب التي لا معنى لها لان الاسباب بمعنى الحبال استعارها للعمران على جعلها بمعنى الوسائل وهو استعمالٌ سائغ ولكنهُ جعل لتلك الاسباب رواقاً فافسد لان ذلك مما لا يُتصور في حقيقةٍ ولا مجاز ولا يمكن ردّهُ الى

تفسيرٍ صحيح

وقولهُ « شيّد معالم الحضارة » وهو يحسب ان المعالم شيءٌ من البنيان فجعلها مما يشيَّد . قال في لسان العرب المَعلَم الاثر يُستدَلّ بهِ على الطريق اه . فوجه الكلام ان يقال اوضح معالم الحضارة مثلاً اي اظهر ما طمس من آثارها وهو التعبير الذي تراهُ في كلام الفصحآء

وقولهُ « النسآء اللواتي أُدليت الاحكام اليهنّ » يعني أُسنِدت ولم يُسمَع استعمال ادلى بهذا المعنى ولا جآء في نصوص اللغة ما يحتمل ذلك فيهِ

ومن ذلك قول الآخر « الطاعنات بالاحداق » يصف نسآءً بفتنة النظر فما زاد على ان جعل احداقهنّ رماحاً وهو اغرب ما سُمِع من ضروب التشبيه

وقولهُ « لم يوشك ان حلّ هذا المحل حتى سعى لينال هذه الزيادة » يريد لم يلبث بعد ان حلّ او لم يوشك ان يحلّ لان خبر اوشك لا يكون الا فعلاً مضارعاً فعدل عن وجه الكلام الى هذا التركيب الغريب

وقولهُ « عقدوا خناصرهم على هذا الامر » اي عقدوا عزائمهم عليهِ وليس هذا التعبير في شيء من هذا المعنى انما يقال عقد خنصرهُ على كذا اي اشار الى تفرُّدهِ في نوعهِ او الى انهُ الاول بين امثالهِ وهو مأخوذ من العقد بالاصابع للدلالة على العدد وقد تقدم لنا شرح ذلك مفصلاً في الجزء الثاني من مجلة البيان (صفحة ٨٨ وما يليها)

وآية الغرابة في ذلك كلهِ قول القائل « فقد يحصل ان يكون ذيل المحصول في هذا العام غليظاً » اي ان تكون الغلال وافرة فلينظر المطالع هل رأى في زمانهِ اغلظ من هذا الذيل . . . . .

ومن امثلة الضرب الثاني قول القائل « سأل شورهُ في هذا الامر » اي مشورتهُ وهو من الفاظ العامة لانهم يقولون شار عليهِ بكذا وانا لا اشور عليك بهذا الامر

وقول الآخر « سهي الشيء عن بالهِ » وهو من التعبيرات العامية ايضاً وفيهِ غلطتان احداهما اخراج سها الى باب علم وصوابهُ من باب نصر والثانية اسنادهُ الى الشيء وانما يقال سهوت عن الشيء ولا يقال سها الشيء عني

وقول الآخر « ارجو اليهِ ان يفعل كذا » اي ارغب اليهِ والصواب ارجو منهُ . على ان الرجآء بمعنى الامل واستعمالهُ بمعنى الرغبة عاميّ

ومن ذلك قول الآخر « الذين لا ذمة لهم ولا ذمام » فظنّ الذمة شيئاً والذمام شيئاً آخر وهما على الحقيقة شيءٌ واحد . قال في لسان العرب وفي الحديث ذكرُ الذمّة والذمام وهما بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق . اه

وقولهُ « هوّم عليهِ بالحسام » يريد هوّل عليهِ بهِ اي خوّفهُ وشتان بين التهويم والتهويل

وقول الآخر « يحمو ويحترق » اي يحمَى وكانهُ بناهُ على الحموّ مصدر حَمِي وهو من المصادر النادرة

وقولهُ « قريةٌ قفرى » هكذا بالقصر كانها مؤنث قفران على حدّ سكرى وسكران وفي كلام غيرهِ قفرآء بالمدّ مثال حمرآء وكلاهما غلط وانما يقال بلدةٌ قفرٌ بترك التأنيث وان شئت قلت قفرةٌ بالتآء

وقولهُ « صفار البيض » اي ما في باطنهِ من المُحّ الاصفر وكأَنهُ من

التسمية بالمصدر على ما هو في لغة العامّة فانهم يقولون الصفار والخضار وغير ذلك قياساً على السواد والبياض ومن الغريب ان مثل هذا وقع في شعرٍ لمجير الدين بن تميمٍ وهو قولهُ

حبيبي وعدتَ الكاس منك بقبلةٍ وأعقب ذاك الوعدَ منك نفارُ
وما كان هذا لونها غير انها علاها لطول الانتظار صفارُ

وقول الآخر « رضوا بتوزيع النفقات بما فيهِ العضوان القبطيَّان » ولينُظَر ما معنى هذه الكلمات الاخيرة

وقولهُ « حصل التنبيه على الموظفين بعدم اعطآء الاخبار » اي أُمِروا بذلك ولم ينُقل استعمال التنبيه بهذا المعنى وانما هو من كلام العامّة

وقول الآخر « لا يصلح ان يؤخذ حجةً طالما ان كتب اللغة لم تحط بكل الالفاظ » يريد ما دامت كتب اللغة لم تحط فجعل طالما ظرفاً وهي من قبيح اغلاط العامة

وقول الآخر « احتُفلت هذه الاعياد » فجعل احتفل متعدياً وهو لا يكون الاّ لازماً

وقولهُ « لا يحقّ سوى للاله » ففصل بين سوى وما اضيفت اليهِ باللام والصواب لسوى الاله او الاّ للاله وهي من الاغلاط القديمة التي سبق لنا التنبيه عليها في غير هذا الموضع

واغرب ما جآء من هذا قول القائل « سيشرع المجلس البلدي بعمل مناقصة عن توريد اولاً الرمل وثانياً العربات » الى آخرهِ وهذا مما قصّرت عنهُ لغة الدواوين

(ستأتي البقية)

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

(تابع لما في الجزء السابق)

واما الافعال العقلية فلا يتأتى لنا الحكم بوجود مصدرها في الحيوان الا بمقدار ما يبدو لنا من ظواهرها . فالشَّبَنْزَى (الشمبانزي) في افريقيا والاوران في الهند الشرقية على تباين محتدهما يبنيان مساطب يتوسدانها ليلاً والاول قد يتدثر بما تصل يدهُ اليهِ من الاكياس وما ماثلها اتقآء للبرد وبذلك يماثلان الانسان في اتخاذ البنآء والكسوة . ويؤثر عن قردٍ في رأس الرجآء الصالح انهُ كان قد غاظهُ احد ضباط العسكرية تكراراً فاغتنم ذات يوم فرصة مرور ذلك الضابط بلباس الاستعراض وحالما رآهُ مقبلاً عليهِ عمد الى مآء على مقربةٍ منهُ فصبّ شيئاً منهُ في حفرةٍ وعجن كتلةً من الطين ثم رمى بها عليهِ فجعلهُ عبرةً للناظرين . وقد شوهد فيل ينفخ ورآء غرض على بعدٍ منهُ فادناهُ اليهِ مقذوفاً بمجرى الهوآء . ورؤي دبٌّ محبوس في قفصٍ في مدينة ڤينا يحدث مجرًى مائياً في ساقيةٍ كان قفصهُ موضوعاً على شاطئها فاخذ يضرب المآء بيدهِ ويحولهُ الى جهتهِ ليحمل اليهِ مجرى المآء كسرةً من الخبز كانت طافيةً على بعدٍ منهُ . وافيال الهند تتناول اغصاناً من الشجر تطرد بها الذباب وتستعملها بمثابة المروحة عندنا وكثيراً ما تتلذذ باستعمالها حتى يصعب نزعها منها . وللكلاب نوادر غريبة وقصص عجيبة تدل على مالها من النباهة والحذق والزكن ومن غريب ما يروى عن احد كلاب الصعيد انهُ حاول مرةً حمل بطتين كبيرتين كان قد رماهما صاحبهُ

بطلقٍ ناري وكانت احداهما لا تزال حيّة فلما لم يمكنهُ حملها معاً اجهز على البطة الحيّة وتركها في الارض ثم عاد فاخذها بعد ما اوصل الاولى الى صاحبهِ

واذا نظرنا الى جوارح الطير نرى ان النسر يعلم فراخهُ الطيران والصقر يمرّن صغارهُ على تقدير المسافات باطلاقها ورآء جرذانٍ ميتة يقذفها لها من حالقٍ حتى اذا مهرت في ذلك درّبها على صيد العصافير الحية . ولو قصدنا ايراد كل ما يؤثر عن الحيوانات الدنيا من الافعال الدالة على ادراكها ونباهتها لملأنا المجلدات الضخمة . وحسبنا من ذلك ان النمل على صغر جثتهِ نجد عندهُ من النباهة وقوة الفهم ما يجعلهُ من اسمى الكائنات ادراكاً اذا اعتُبر في ذلك نسبة ثقل الدماغ الى سعة العقل . فالنمل يتفاهم ويتعاضد على العمل ويتعارف بعد اشهر ويتعاطف ويبني قرًى حسنة الوضع محكمة الصنع يحفظها دائماً نظيفةً ويسد ابوابها في المسآء بعد ما يضع عليها الحراس ويفتح الاسراب ويمهد الطرق تحت الانهر ويكوّن جسوراً وقتية فوقها باصطفاف افرادهِ بعضها بجانب بعض طافيةً على وجه المآء ويدّخر مؤونةً لمجتمعهِ ويوسع ابواب قراهُ لادخال الذخائر الضخمة الحجم ثم يبنيها ثانيةً فيعيدها الى سعتها الاصلية ويخزن الحبوب الى حين الحاجة بعد ان يقضم اطرافها ليمنع تفريخها واذا ترطبت يخرجها وينشرها الى ان تجف ويستخدم نوعاً من الحشرات بمثابة البقر الحلوبة عند الانسان ويشن الغارة بتمام الانتظام ويبذل حياتهُ لخير مجتمعهِ ويأسر العبيد وينقل بيظهُ الى ادفأ مكانٍ في القرية ليسرع نقفهُ الى آخر ما يأتيهِ من غرائب الافعال وعجائب الاعمال

هذا واني اراني مضطراً لضيق المقام الى ترك الكلام على مظاهر التعقل

في النحل وكلب الماء والفيل والفرس وغيرها وسرد ما يؤثر عنها من التحوط والنجابة والفهم والامانة وغير ذلك مما يقضي بالعجب العجاب فاكتني من هذا البحث بالقدر الذي اوردتهُ وهو كافٍ للحكم

واما القوى الادبية فلما كانت مرتبطة كل الارتباط بالقوى العقلية وكانت من اهمّ المميزات بين الانسان والحيوان لم يكن لنا بدٌّ من البحث فيها وايراد ظواهرها وسيتضح للقارئ ان آثار الارتقاء الادبي جلية الظهور في اخلاق الحيوانات الدنيا مما يدلنا على تدرج الارتقاء العقلي والادبي معاً. فالحاسة الادبية — او الضمير — من اعظم الفوارق بين الانسان والحيوان وهي تنمو بنمو القوى العقلية فكلما ارتقى الانسان عقلاً ارتقت معهُ الحاسة الادبية لاتصالها بالروابط الاجتماعية من مثل الغريزة الاجتماعية (او الميل الى الاجتماع) والمحبة الوالدية وما شاكلهما. فالغريزة الاجتماعية من شأنها ان تبعث المجتمع على السرور بالاجتماع وبالتالي على التعاطف. وليس بخافٍ ان الآداب اعتبارية او نسبيّة وهي عبارة عن عمل «الواجب» ولذلك تختلف باختلاف اعتبار عمل الواجب. فإناث النحل العامل مثلاً تقتل الذكور لانها لا تجني عسلاً مثلها وتستحيي الاناث لانها هي التي تقوم بمقتضيات هيئتها الاجتماعية فلو كانت احوالنا مماثلة بكليتها لاحوال النحل ربما كنا نعتبر القتل من واجباتنا مثلها. ولما كان المجتمع الحيواني كالمجتمع الانساني لا يقوم الا بالتعاون والتعاضد كان الميل في الحيوان الى التعاضد غريزياً مثلهُ في الانسان لرسوخهِ فيهِ جرياً على قاعدة الارث. فالقرود والذئاب والزِيغان والقطا وغيرها تعيش اسراباً وتتعاون في تحصيل رزقها.

وقد يتألف بعض افراد المجتمع الواحد من الحيوان تآلفاً يكون من ورآء تفرقهِ وحشة اليمة تفضي الى الشقآء . وكل من عني بملاحظة الحيوانات الاليفة يعلم ما تظهرهُ الخيل والكلاب من الكآبة والانكسار عند فصل بعضها عن بعض ومن الأُنس والابتهاج عند عودها الى الاجتماع حتى لقد يعاف بعض الحيوانات الطعام حزناً على فراق أليفهِ فيقضي شهيد امانتهِ وحسرتهِ - فهل يوجد كثيرون من الحيوانات الناطقة يموتون شهدآء الامانة - . وجميع قطعان الحيوان واسراب الطير تبدي من التحوط واليقظة ما هو جدير بالاستغراب . فالارانب والاراوي تضرب الارض بقوائمها تنبيهاً للقطيع عند دنو الخطر . وبعض ذوات الاثدي وكثير من الطير تقيم حراساً تتكفل بوقاية السرب من الغيلة . وقواد القرود تفوه بعلامات الخطر والسلم في حينها فتقي جماعاتها من مفاجأَة العدو . وغالب الطير يصوت عند نهوضهِ من مجثمهِ اذا فاجأَهُ خطر فينبه بعضهُ بعضاً للفرار من وجههِ

(ستأتي البقية)

عمدة الصفوة في حِلّ القهوة

(تابع لما في الجزء السابق)

واما اول ظهورها بمصر فقال العلامة ابن عبد الغفار انها ظهرت في حارة الجامع الازهر في العشر الاول من هذا القرن وكانت تُشرَب في نفس الجامع برواق اليمن يشربها فيهِ اليمانيون ومن يسكن في رواقهم من اهل الحرمين وكان المستعمل لها الفقرآء المشتغلون في الرواتب من الأذكار والمديح

على طريقتهم المذكورة وكانوا يشربونها كل ليلة اثنين وجمعة يضعونها في ماجور كبير من الفخار الاحمر و يأخذ منها النقيب بسكرجة صغيرة و يسقيهم الأَيمن فالأَيمن مع ذكرهم المعتاد عليهِ غالباً وهو لا اله الا الله الملك الحق المبين وكان يشربها معهم موافقةً لهم من يحضر الرواتب من العوامّ وغيرهم . قال وكنا ممن يحضر معهم وشربناها فوجدناها تُذهِب الكسل والنعاس كما قالوا بحيث انها كانت تُسهِرنا معهم ليالي لا نحصيها الى ان نصلي الصبح مع الجماعة من غير تكلف وكان يشربها معهم من اهل الجامع وغيرهم خلقٌ لا يُحصَى . ولم يزل الحال على ذلك وشُربت كثيراً في حارة الجامع الازهر و بيعت بها جهراً في عدة مواضع ولم يتعرض احدٌ ولا انكر شربها لا لذاتها ولا لوصفٍ خارجٍ عنها من ادارة وغيرها مع اشتهارها بمكة وشربها في نفس المسجد الحرام وغيرهِ بحيث لا يُعمَل ذكرٌ او مولد الا بحضورها . وفشت بالمدينة الشريفة دون فشوّها بمكة حيث ان الناس يطبخونها في بيوتهم كثيرًا

ثم حدث الانكار عليها بمكة الشريفة في سنة سبعة عشر وتسعمائة وكان القائم في ذلك رجلين اعجميين اخوين كانا مشهورين بالحكمة وكان لهما فضيلةٌ في المنطق والكلام والطبّ و يدّعيان مرتبةً في الفقه لم تسلَّم لهما وهما الرجلان اللذان رحلا الى مصر في اواخر دولة الغوري واقاما بها حتى قدم اليها السلطان الملك المظفر سليم شاه فقتلهما توسيطاً لِما كانا يُرمَيان بهِ مما الله اعلم بحقيقتهِ . واعانهما على القيام في امرها الشيخ شمس الدين محمد الحنفي الخطيب نقيب قاضي القضاة سريّ الدين بن الشحنة وأُناسٌ آخرون فأغرى الشيخ شمس الدين الخطيب الامير خاير بك المعمار باش مكة

ومحتسبها اذ ذاك على إبطالها من الاسواق ومنع الناس من شربها وقرر عندهُ انها موصوفة بتلك الصفات القبيحة ورغبهُ بذلك جدًّا وحملهُ ان يعقد لهُ مجلساً عندهُ وانفصلوا منهُ على القول بحرمتها وكتبوا بذلك محضراً انشأهُ لهم الشمس الخطيب وارسلوهُ الى مصر وارسلوا معهُ سؤالاً انشآء الحكيمين والخطيب وطلبوا مرسوماً سلطانياً لمنعها بمكة المشرفة . ولما انصرفوا من عقد المجلس اشهر الامير خاير بك الندآء بمنع شربها وشدد في ذلك حتى انهُ عزّر جماعةً من باعتها وكبس مواضعهم واخرج ما وجدهُ فيها من قشر البنّ واحرقهُ في وسط المبيع فبطلت حينئذٍ من السوق وكان الناس يشربونها في بيوتهم اتقآء شرّهِ لانهُ بلغهُ عن شخصٍ انهُ شربها فعزّرهُ وطاف بهِ في الاسواق

ثم بعد ذلك ورد المرسوم السلطاني ولكن لا على وفق غرضهم كما ستقف عليهِ فتجاسر الناس على شربها لا سيما وقد بلغهم انها لا تُمنَع في مصر التي هي بلدة السلطان ولم ينكرها احدٌ من علمآئها وفتر خاير بك عن التسلط على الناس بسببها واستمرّ الحال على ذلك . ثم قدم ناظر الخواص الشريفة العلآء ابن الامام الى مكة المشرفة سنة ثمانية عشر وتسعمائة لمهمٍ سلطاني فمنع الشمس الخطيب من تحمُّل الشهادة وأدآئها واراد حملهُ الى مصر ثم اعفاهُ من ذلك فانقطع الخطيب في بيتهِ للموسم فازداد الامر فتورًا والقهوة ظهوراً وتوجه الخطيب صحبة الركب الى مصر وتوفي بالينبوع وقال بهذا المعنى بعض اهل المجون ونُسِب ذلك الى الشيخ ابي الفتح المالكي في الشام شعراً

قهوة البُنّ حرُمت فأحتسوا قهوة الزبيب
ثم طيبوا وعربدوا وانزلوا في قفا الخطيب

وقال غيرهُ

قهوة البنّ حرُمت فاشربوا قهوة العنب
واشربوها وعربدوا والعنوا من هو السبب

واتفق في عام الثمانية عشر المذكور ان الامير قطلباي قدم الى مكة صحبة الركب الشريف باشاً عوضاً عن خاير بك واكثر شربها فاشتهرت اضعافاً عن اشتهارها الاول ولم يزل امرها يتزايد في الحرمين وغيرهما ولم يتعرض احد

وبلغ الشيخ العارف بالله محمد بن عراق لما قدم الى مكة في ذي القعدة الحرام سنة اثنين وثلاثين انهُ كان يُفعل في بيوت القهوة اشياءَ من المنكرات فاشار على الحكام بابطال بيوتها مع تصريحهِ بحِلّها في حدّ ذاتها غير مرةٍ لغير واحد بحيث بلغ ذلك منهُ مبلغ التواتر المفيد للقطع وكذلك لم يتعرض لابطالها من المدينة طول اقامتهِ فيها • وبلغهُ ان امرأةً شابّةً تبيع القهوة بالمدينة مكشوفة الوجه فمنعها من البيع فشكت اليهِ حالها والحاجة فأذِن لها بالبيع بشرط الستر ففعلت • ولما توفي الشيخ بمكة في خامس صفر سنة ثلاثة وثلاثين رجع الحال لما كان عليهِ ولم يزل يزداد لوقتنا هذا ولم تزل اولياءُ الشيخ بعدهُ على القول بحِلّ القهوة والمواظبة عليها حتى ان اجلّهم قطب دائرة اهل الحرمين في الظهور علماً وصلاحاً وافتاءً وتدريساً وتأليفاً كان اجلّ ما يُحضِرهُ لمن يرد عليهِ من الاكابر ومَن دونهم القهوة ويتكرر

فعلهُ لذلك في اليوم والليلة مرات خصوصاً في زمن الموسم وهي كانت
مكرمتي عندهُ اذا قدمتُ عليهِ بمكة والمدينة او بالقاهرة في اوقات سفرهِ اليها
وكذلك كان يشربها بمنزلي ايام اقامتهِ بالقاهرة

وفي سنة تسع وثلاثين رُفع للشيخ العلامة واعظ العصر شهاب الدين
احمد بن عبد الحق السنباطي الشافعي سؤالٌ هذه صورتهُ ما قولكم رضي
الله عنكم في شراب يسمونهُ القهوة يجتمع عليهِ الجماعة ليشربوهُ ويزعمون
انهُ مباح مع انهُ يترتب عليهِ مفاسد كثيرة فهل ذلك جائزٌ ام حرام. فاجاب
بحرمتها وأنها مسكرة وكتب على هذا السؤال جواباً واسع العبارة لا يحتملهُ
هذا المختصر احال فيهِ على إخبار من شربها وتاب عنها وعلى ما يوصف بهِ
الجمع في بيوتها من الاوصاف المانعة لشربها وسيأتي ذكر ذلك ملخصاً في
الباب الثاني

وفي سنة واحد واربعين تعرضوا الشيخ في مجلس وعظه بذكر القهوة
فافتى بحرمتها وصمم على ذلك في مجالسهِ بالجامع الازهر فتعصب جماعةٌ من
القوم لما سمعوا منهُ ذلك وخرجوا الى بيوتها من تلقآء انفسهم بغير امر حاكم
بل لمجرد الحفلات العاميّة وكسروا اوانيها وضربوا جماعةً ممن كان هناك فقام
بسبب ذلك فتنةٌ وتعصيب ممن يقول بالحلّ والحرمة شهيرة واحتاج الامر
الى الاستفتآء ايضاً واتصل بقاضي مصر وهو الشيخ محمد بن الياس الحنفيّ فسأل
عن حكمها جماعةً من علمآء القاهرة المفتين بها واعتمد على افتآء من قال
بحلها من العلمآء المعتبرين ثم استظهر بعد ذلك فأمر بطبخها في منزلهِ وسقى
منها جماعاتٍ بحضرتهِ وجلس يتحدث معهم ليختبر حالهم فلم يرَ فيهم تغيراً

ولا شيئاً منكرًا فأقرّها على حالها . وفي منع الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق السنباطي لبيع القهوة وافتائهِ بحرمتها وقيام العامة معهُ يقول بعضهم واظنهُ الفقيه الحجبون بجدة شعراً

ان اقواماً تعدّوا والبلا منهم تأتى
حرّموا القهوة عمداً قد رووا افكاً وبهتا
ان سألت النصّ قالوا ابن عبد الحق افتى
يا أُولي الفضل اشربوها واتركوا ما قال بهتا
ودَعُوا العذّال فيها يضربون الماءَ حتى

(ستأتي البقية)

العادة والطبيعة

ذُكر مرةً امام فونتنال قولهم في المثل العادة طبيعةٌ ثانية فقال لكن احبّ ان اعلم ما الطبيعة الأُولى يريد ان كل ما في طبيعة الانسان مرجعهُ العادة اما مباشرةً من افعال الشخص او اكتساباً من طريق الإِرث . وقد بالغ بعضهم في هذا الموضع فقال ان المشي عادة والأكل عادة والنوم عادة حتى ان الصحة يمكن ان تُعَدّ مع التوسع عادة ولا يخفى ان كل ذلك موجهٌ عند هذا القائل الى الطبائع الموروثة

ولا ينبغي ان يؤخذ مما ذُكر أن الانسان آلةٌ صمّاء يتلقى العادة من غير ان يكون للارادة شركةٌ في ثبوتها اذ ليس من عادةٍ تُنتَحل او تُهجَر الا وللارادة فيها الخطوة الاولى وهي تنشأ تحت عاملين احدهما تمرين الفطرة على

قبولها حتى تنطبع عليها وتصير سجيةً فيها والآخر تعريض البنية لألفة ما بينها وبينهُ منافرةٌ كالسموم واختلاف الاقاليم وسائر الاعراض المفسدة. وبالاول تكتسب الاعضآء ما نجد فيها من السهولة والطوع في ضروب الاعمال والحركات المختلفة وبالثاني تألف البنية بما فيها من الاستعداد التركيبي فعل السموم واختلاف حرّ الاقليم وبردهِ الى اقصى درجاتهما بحيث ترى الجسم اشبه بقطعةٍ من المطّاط قابلةٍ لأَن تتشكل بجميع الاشكال وتوافق جميع البيئات. ومما يؤثر عن بقراط ان مباشرة ما اعتدتَهُ ولوكان مضرًّا في نفسهِ اقلُّ ضرراً مما لم تعتدهُ ولو كان نافعاً

ومعلومٌ ان اكثر انواع السموم حتى اشدّها فعلاً يمكن ان تُتناول الى مقادير كبيرة بشرط ان تؤخذ على التدريج حتى يعتادها الجسم ويألفها شيئاً فشيئاً . فان المنّ مثلاً الذي يكون من ٥٠ الى ١٠٠ غرام مسهلاً اذا أُخذ بمقادير قليلة كان غذآء يتمثل في الجسم وكذلك الزرنيخ والايثير والمرفين والتبغ بل ملح الطعام نفسهُ كل هذه تُعَدّ من السموم ونحن نتناولها كل يوم فنتداوى ببعضها ونغتذي بالبعض الآخر ولا يلحقنا منها أذًى

ولما كان اتخاذ العادة لا يصلح الاّ تدريجياً فكذلك الاقلاع عنها لا يصلح الا تدريجياً حتى تألف الطبيعة تركها كما ألفت استعمالها ولا يجوز ان تُقطَع دفعةً واحدة ولو كانت من العوائد المضرّة . فان معتاد السمّ مثلاً اذا تركهُ دفعةً كان ذلك هو السمّ القاتل لهُ لان اكثر السموم كما ذكرهُ الاطبآء تعمل في المراكز العصبية فتؤثر فيها تهييجاً عنيفاً بالغاً آخر حدودهِ فاذا تُرِكَ تناولها فجاءةً حدث اختلالٌ في حالة العصب بالانتقال دفعةً

من حالة التهيج الاقصى الى حالة السكون التام فتختلّ الموازنة الحيوية على غير استعدادٍ في الجسم لهذا الاختلال ولذلك لم يكن بدٌّ في الانتقال من عادة الى تركها ان يكون على نفس الطريق الذي اتُّخذت بهِ تلك العادة

وكذا القول في الانتقال من اقليم الى آخر والمراد بالاقليم هنا ما يكون عليهِ جوّ ذلك الاقليم من حالة الهوآء ودرجة الحرّ والبرد وهو لا يختصّ بما يقع من التفاوت في ذلك بين بلدٍ وآخر ولكنهُ قد يكون في البلد الواحد باعتبار حال المسكن وما يكون عليهِ الهوآء الذي يتخللهُ ويحيط بهِ . وذلك ان من ألف مسكناً فاسد الهوآء تعتادهُ رئتاهُ ويحدث فيهما نوع من التلقيح بهوآئهِ يمنع تأثير ذلك الفساد وهذا هو العلّة في سلامة الاطباء والممرّضين من العدوى بمخالطة الاعلاَّء في زمن الاوبئة . ومما يُروَى في ذلك ان سجيناً أُخرِج من مُطبَق (سجن مظلم) على حين فجأةٍ فلم يطق تنفس الهوآء المطلق ولا النظر فيهِ ويقال ان الذين يعملون في المناجم حيث تكون الحرارة اشبه بحرارة الاقاليم الاستوآئية اذا خرجوا الى الهوآء السطحي لم يكادوا يألفون درجتهُ ولو كانوا في معمعان الصيف

وما يقال في حالة الجسم على العموم يقال في الحواسّ على انفرادها فان للعادة اعظم تأثيرٍ فيها ولا سيما حواسّ اللمس والبصر والسمع فان الاعمى مثلاً يميز بلمسهِ ادقّ الآثار واخفاها لاعتمادهِ عليهِ في تأدية اشكال المحسوسات ومن رأى الاعمى يقرأ الحروف الناتئة بامرار انملتهِ عليها قضى العجب العجاب من سرعة مرّهِ في القرآءة حتى لا يكاد البصير يكون اسرع تناولاً منهُ للحروف المرسومة بالحبر . وكذا المصوّر فانهُ يميز ضروباً من الالوان لا يرى

غيرهُ فيها الا لوناً واحداً ومثلهُ الموسيقي في تمييز الاصوات حتى انهُ اذا اختلَّ ايقاع آلةٍ واحدة بين مجموعٍ من الآلات ادرك ما اختلَّ منها للحال

ولما كانت العادة بهذه المنزلة من التأثير في البنية كانت ولا ريب مما يترتب عليهِ كثيرٌ من حالات الصحة والمرض وقوة الاعضآء وضعفها وبالتالي طول الحياة وقصرها فكان من الواجب ان يُلتفَت اليها اول كل شيء وتُجعَل اساساً لتربية الجسم بأن يعوَّد احتمال الآفات الخارجية من الحرّ والبرد والتعب وخشونة المعاش بحيث يكون متأهباً لمباشرة كل ذلك من غير ان يضرّ بمزاجهِ ويزيلهُ عن اعتدالهِ . وقد تقرر عند علمآء الصحة ان العادة اضمن للسلامة من التوقي لانها تكسب الجسم صلابةً يقوى بها على ملاقاة العوارض بل من المحقق ان الافراط في التوقي يفضي غالباً الى عكس ما يُتوخى به لانهُ يعرّض الجسم لآفاتٍ هو في مأمنٍ منها بدونهِ ومن تفقد طبقات الناس وضروب معايشهم تبينت لهُ صحة هذا القول بما يُغني عن الاطناب

اقتراح

سألنا احد مهذَّبي الشبَّان المصريين ان ننشر على صفحات الضيآء السؤال الآتي نوجههُ الى عامة القرّآء ونقترح الجواب عليهِ بما يحسم الدآء وهو ولا ريب مما يهمّ كل مطَّلعٍ عليهِ من اهل هذه الديار وما كان بمنزلتها من سائر البلاد الشرقية وسننشر ما يرد علينا في ذلك مما تجود بهِ اقلام العقلآء لما فيهِ من عموم الفائدة وهذا نصّ السؤال المذكور

انا فتًى اناهز الآن الثامنة عشرة من سنيَّ وقد قضيت في مدارس القطر العالية ما ينيف على ثماني سنين وصلت فيها ليلي بنهاري في المطالعة والحفظ واتقنت اللغتين العربية والفرنسوية بفروعهما وحصلت على حظٍّ صالح من اللغة الانكليزية ودرست الرياضيات بفروعها والطبيعيات وقد خرجت الآن من المدرسة وبيدي الشهادات المؤذنة بختمي دروسها . وانا من الذين لا مورد لهم من العيش الا كدّهم وعرقهم وقد قرعت جميع ابواب الاستخدام فلم اجد فيها ما يلائم حالتي واكتسب منهُ ما يكفيني من المعاش واعرف كثيرين من امثالي اعدّهم بالمئات لم يكد يظفر برزقهِ منهم الا افرادٌ معدودون . فارجو من عقلاء قومنا ومن يهمهم امر مستقبل البلاد ان يشيروا عليَّ او على من ذكرت من رصفائي بما يضمن لنا مستقبل حياتنا ولهم الفضل والجميل

آثار ادبيّة

العلم والتربية ــ هو عنوان كتابٍ عني بتأليفهِ حضرة الكاتب الاريب خليل افندي زينية رئيس تحرير جريدة الاهرام وجعلهُ هديةً الى حضرة الوزير الخطير صاحب الدولة مصطفى رياض باشا الشهير تكلم فيهِ على اصول التربية واحكامها والآداب البيتية والمدرسية وطرق التعليم وتهذيب الاخلاق فيما يقرب من ثلاث مئة صفحة فاحاط بهذه الشؤون كلها ووفى كل مبحثٍ منها حقَّهُ وضمنهُ فوائد شتى في الاحوال الصحية والاخلاق والعوائد والدين والوطن واللغة وغير ذلك بحيث جاء كتاباً عميم الفائدة كبير العائدة تلقى

البلاد بحاجاتها في هذا الاوان الذي هو اوان يقظة الامة وانتعاشها من كبوتها. فنحن نثني على المؤلف بما يستحقهُ عنآؤهُ في هذا الكتاب وتمنى لهُ ان يُرزَق من القرآء من يقدرهُ حق قدرهِ ويعمل بما فيهِ من النصائح والآداب

اسئلة واجوبتها

القاهرة ـ نرجو ان تجيبونا على السؤالين الآتيين

(١) عثرنا في بعض الكتب على ذكر يوم من ايام العرب يسمى يوم الصعاب الا انهُ لم يُذكر في اي موضع كان ذلك اليوم ولا بين اي القبائل فهل لكم ان تفيدونا عن ذلك

(٢) نرى في كتابات العامة كلمة محسوب بمعنى مخصوص ونحوهِ فهل يوجد في اللغة فعلٌ بهذا المعنى تُشتقّ منهُ الكلمة المذكورة

ا * ب

الجواب ـ اما يوم الصعاب فلم نعثر عليهِ في شيءٍ من كتبهم فلعلهُ مصحفٌ عليكم . واما كلمة المحسوب فمولدة ولا نذكر أنَّا رأيناها في شيءٍ من الكتب قبل تاريخ البسخاوي المسمى بتحفة الاحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات وقد جآء فيهِ عند الكلام على مزار السيدة نفيسة بنت الحسن ذكر دعآء للخلعيّ سردهُ المؤلف ثم عقّب عليهِ بقولهِ وزاد بعضهم على هذا الدعآء الفاظاً أُخر .. وجآء في تلك الزيادة ما نصهُ « يا آل بيت المصطفى جئتكم قاصداً فبالله اقبلوني فقد حُسِبتُ عليكم . ولم يذكر اسم هذا القائل ولا يعلم لذلك تاريخ وكأَنَّ اصل المعنى من قول بعضهم في احدى

القصائد النبوية

يا آل طه عليكم حملتي حُسِبت　　ان الضعيف على الاجواد محمولُ

والحملة هنا من قولهم استحملهُ نفسهُ اي حمَّلهُ حوائجهُ واموره فقيل حملتي محسوبة على فلان ثم قيل انا محسوبٌ عليهِ على حذف المضاف واقامة المضاف اليهِ مقامهُ والله اعلم

القاهرة — هل نقول هذا المبلغ يزيد على كذا او يزيد عن كذا وايهما الافصح　　مستفيد

الجواب — قال في الكليات والزيادة تلزم وقد تتعدى بعن كما تتعدى بعلى لان نقص يتعدى بهِ وهو نظيرهُ . اه . ولعل الاولى ان نقول ان لكلٍ من هذين التعبيرين وجهاً لان على تفيد الاستعلاء وعن تفيد المجاوزة وكلاهما محتملٌ هنا فتقول هذا المبلغ يزيد على المئة على معنى يُربي عليها او يزيد عن المئة على معنى يتجاوزها وحاصل المعنيين واحد كما ترى

القاهرة — ارجو ان ترشدوني الى الكتب المؤلفة باللغة العربية (لا المترجمة) المختصة بالبحث في المواضيع التي هي الآن من غرض الاقتصاد السياسي كالاموال وجبايتها والثروة ومصادرها والتجارة وطرقها ولكم الفضل　　علي ابو الفتوح

الجواب — لم نعثر في ذلك على كتابٍ عربي الاصل ولكن وقعت الينا منذ سنواتٍ نسخةٌ من رسالةٍ قديمة في هذا المعنى معرّبة عن اليونانية

ونظنها مما عُرّب على عهد الخلفآء العباسيين الا ان الرسالة ناقصة من آخرها والذي لدينا منها نحوٌ من خمس وعشرين صفحةً متوسطة . وسننشر شيئاً منها في بعض اجزآء الضيآء المستقبلة ان شآء الله ليكون بمنزلة انموذج لما كان عليهِ هذا الفن عند المتقدمين

كلٌ من عليها فان

ان الرزيئة لا رزيئة مثلها　　فقدانُ مثل محمَّدٍ ومحمَّدِ

رُزئت الامة المصرية بفقد اثنين من صدور علمآئها بل بدور ظلمآئها واساطين فخرها وعلآئها المرحومَين الطيّبيَ الاثر الشيخ حسن الطويل العالم العلاّمة المحقق الشهير والشيخ عبد الرحمن القطب النواوي قطب اهل القضآء والفتيا وشيخ الازهر الشريف . اجاب الاول داعي ربهِ في اليوم الاول من هذا الشهر عن احدى وستين سنةً قضاها في الاشتغال والتدريس في العلوم الشرعية والعقلية والرياضية وتخرَّج على يديهِ كثيرون من جلة علمآء القطر ومشاهيرهم . واستأثرت رحمة الله بالثاني في اليوم الرابع منهُ بعد ان تولى مشيخة الجامع شهراً واحداً فكان لخطبهما رنّة اسفٍ تجاوب صداها في البلاد ولهفة جزعٍ ترددت رسلها بين العيون والاكباد وقد شُيّعت جنازتاهما في جمهورٍ كبير من العلمآء والاعيان وأبنهما كثيرٌ من ذوي الفضل والعرفان عوض الله الامة فيهما خيراً ومطر ضريحيهما بوابل الرحمة والرضوان

وسنُثبِت ما ينتهي الينا من ترجمة الفقيدين في الجزء التالي ان شآء الله

فكاهات

رواية

تمثال الجبس

كان في كلية اكسفورد شابّان يتلقيان العلوم وقد جمعتهما صلة الطلب وأئتلاف الطباع فتصادقا وكانت صداقتهما متينة العرى غير انهُ ما انتهت ايامهما المدرسية حتى افترقا فأقام احدهما جورج في بلدتهِ وسافر وليم الى بلادٍ اخرى طلباً للرزق. وقبل ان يفترقا تعاهدا على اتصال المكاتبة فكانا يتراسلان في اكثر الايام ثم ازداد البعد بينهما وادركهما تراكم الاشغال فانقطعت بينهما المكاتبة ولم يعد احدهما يعرف شيئاً من احوال الآخر . وكان جورج قد انقطع الى مزاولة التصوير فاتقن الصناعة وادرك فيها شأواً بعيداً اما وليم فمال الى التجارة واخذ يتنقل من بلادٍ الى اخرى فجاب اطراف المعمور وعاد الى فرنسا برأس مالٍ كبير فالقى فيها عصاهُ وانشأ في باريز محلاً تجارياً فاتسعت اشغالهُ وزادت احوالهُ تحسناً ووصل الى أعلى منزلةٍ من الغبطة والسعادة

وكان وليم لا يزور في باريز الا اكابر القوم واعيانهم وخصوصاً السفير الانكليزي وكان لهذا ابنة جميلة قد ناهزت العشرين من سنيها تدعى جوليا فاحبها واحبتهُ فخطبها من ابيها فلم يمانع وازوجهُ بها . وكان السفير صاحب

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

املاكٍ كثيرة فوهب لابنتهِ قصراً جميلاً على ضفة السين تحيط بهِ حديقةٌ غنآء فأقامت بهِ مع زوجها وليم وعاشا كلاهما في اتم الرغد والنعيم

وفي ذات يوم خرج وليم للنزهة فصادف في طريقهِ رجلاً عرفهُ لاول وهلةٍ انهُ صديق صباهُ جورج فترجل عن عربتهِ وعانقهُ واحتفى بهِ وبعد ان حادثهُ قليلاً علم انهُ جآء باريز بقصد ترويح النفس على اثر اعتلالٍ اصابهُ فدعاهُ للنزول عندهُ ثم اركبهُ معهُ في عربتهِ وانقلب بهِ راجعاً الى قصرهِ . ولما بلغاهُ ادخلهُ غرفة الاستقبال فعرَّفهُ بزوجتهِ وجلس اليهِ يطارحهُ مئاتٍ من الاسئلة ويقص عليهِ حديثهُ منذ فارقهُ بعد المدرسة الى تلك الساعة . وقبل العشآء اخذ وليم بيد جورج وقاموا جميعاً يطوفون في غُرَف القصر وهو يريهِ ما فيهِ من الطُرَف والزخارف وما زالوا ينتقلون من غرفةٍ الى اخرى ومن ردهةٍ الى مثلها حتى بلغوا بهواً فسيحاً مزيناً بالازهار والصور والآثار القديمة فأخذ جورج يتأمل في تلك الاشيآء وهو لا يدري ايها اجمل الى ان وقع نظرهُ على تمثالٍ من الجبس ناصع البياض قد وُضع على دكةٍ في وسط الغرفة فما كادت تقع عينهُ عليه حتى امتُقع لونهُ وعلا سحنتهُ الاصفرار واصطكَّت ركبتاهُ وارتعش كل جسمهِ وحاول ان يتمالك نفسهُ فلم يستطع وبلغ التأثر منهُ حتى سقط الى الارض لا يعي شيئاً . فهال امرهُ وليم وجوليا امرأتهُ واسرعا بمساعدة الخدم فنقلاهُ الى سرير في الغرفة الثانية واخذ وليم في استعمال اقرب الوسائط لانعاشهِ . وبعد ان افاق تفرّس جورج في صديقهِ وقال اعذرني ايها الصديق ولتعذرني حضرة السيدة فيما رأيتماهُ مني فذلك على اثر حادثةٍ لو رويتها لكما لم تلوماني على ما حدث . قال وليم وما ذلك .

قال جورج امهلني الى ما بعد العشآء فاطلعك على قصةٍ هي اغرب ما سمعتهُ من حوادث الفتك والغدر

ولما حان وقت العشآء جلس الثلاثة الى المائدة فاكلوا وشربوا. ووليم وزوجتهُ لا يصدّقان ان يفرغوا من الطعام حتى يسمعا حديث جورج . وبعد ما فرغوا واخذوا مجالسهم تنفس جورج طويلاً كمن افاق من نوم مزعج ثم بدأ بحديثهِ فقال

قد علمتَ من كتبي اليك اني انحزت في بلدي الى صناعة التصوير فاتقنت معرفتها ونلت فيها شهرةً عظيمة . وكان يجاورني في محل شغلي فتًى اسمهُ هنري عالي الهمة شريف النسب عظيم الثروة كان قد ولع بصناعة الحفر وسكب التماثيل لا بقصد الكسب لانهُ في غنًى عنهُ بل بقصد التسلي وقطع الاوقات . ولما كنا متجاورَين وصناعتنا تكاد تكون واحدة لم يكن لاحدنا غنًى عن مشورة الآخر والانتفاع برأيهِ وانتقادهِ . وكنت اعجب ببراعة هنري وسرعتهِ في العمل فانهُ كان اذا رأى شخصاً اعجبهُ دخل الى محل شغلهِ وفي بضع ساعات يكمل تمثالاً يشابه ذلك الشخص بحيث ان ادقّ منتقد لا يرى بين التمثال والاصل فرقاً سوى النطق . وكنت يوماً عندهُ ودار بيننا حديث صنعتهِ فأحببت ان ارى كيف يصنع تلك التماثيل فاخذ لوقتهِ قطعةً من الجبس وبينا هو يكلمني عجنها بالمآء فجعلها كتلةً ثم اخذ ازميلهُ وجعل ينحتها امامي وانا اعجب من تقلب الهيئة بين يديهِ ثم رأيت فاذا التمثال تمثالي بعينهِ فتوهمت انني ارى صورتي في المرآة ولكنها بيضآء ثم اهدى لي التمثال فاخذتهُ وحفظتهُ في غرفتي . وتاكدت بعد ذلك بيني وبين هنري

وُثق الصداقة والاخاء فكان احدنا لا يفارق الآخر

وفي ذات يوم دعينا لتناول الطعام عند صديقٍ اسمهُ المستر سميث وكان لهذا ابنةٌ جميلة الصورة تدعى لوسيا لم أرَ في حياتي ابدع منها منظراً ولا اكمل آداباً فلم تنقضِ تلك الزيارة حتى تمكن حبها مني وشعرت ان كل اماني وعواطفي قد تعلقت بها وقرأت في وجهها انها قد أُصيبت بمثل ما أُصبت بهِ . ولما خرجنا من البيت سألت هنري عن رأيهِ في الفتاة فوجدت انهُ قد أُعجب بصفاتها وحسنها ولكنهُ وا اسفا قد علق بحبها ايضاً . ثم تكررت زياراتنا لبيت المستر سميث وساعدني الحظ ان خلوت يوماً بلوسيا واعترفت لها بحبي فقابلتني بالمثل وعاهدتني انها لن تميل الى سواي وافترقنا على امل الزواج حالما تمكن الحال

واخفيت ذلك عن هنري وكان هو ايضاً يترقب الفرص للاعتراف لها بحبهِ فلم يسعدهُ الوقت بل لم تكن لوسيا تمكنهُ من ذلك لانها كانت قد وهبت كل قلبها لي ولم تشعر بأدنى ميل اليهِ . وما زلنا على هذه الحالة الى ان بلغ الهيام من هنري مبلغاً لم يستطع معهُ الكتمان فترك شغلهُ يوماً وذهب توًّا الى بيت المستر سميث فطلب مقابلة لوسيا واطلعها على ما في نفسهِ وطلب اليها ان تعدهُ بالاقتران بهِ . فكلمتهُ بلطفها المعتاد وابانت لهُ تعذر اجابتهِ لانها قد اعطت قلبها لسواهُ وقُضي الامر . فصَعِق هنري لهذا النبأ وبعد ان راجعها مراراً تحقق خيبتهُ فرجع على اعقابهِ حزيناً آئساً يتميز غيظاً وتتقد عيناهُ بنار الغيرة . وبينما انا في غرفتي اذا بهِ داخلٌ عليَّ في تلك الحالة فهالني منظرهُ وقبل ان اسألهُ عما بهِ ابتدرني بالحديث فقال لقد

ضاقت بي الدنيا يا جورج فأمددني برأيك ماذا اصنع . قلت ما الذي طرأ عليك . قال قد علمت اني أُسرت بحب لوسيا حتى مُنعت القرار وحُرمت الرقاد وقد ذهبت اليها هذا النهار اسأل يدها فوجدت لشقآئي انها قد وهبت قلبها لسواي . اوآه يا جورج اني سأموت لا محالة بعد هذه الخيبة . ألوسيا ياخذها سواي . أجل اني سأموت ولكن لا بد قبل ذلك ان اميت مزاحمي ولو قبل موتي بدقيقة

وكنت ارى في عينيهِ نار الانتقام وفي حركاتهِ حدة الجنون فعزمت ان اسليهُ ما امكن واطلعهُ اني انا خطيب لوسيا لعلهُ يخفف ما بهِ من الالم متى علم اني انا غريمهُ ووثقت ان صداقتنا الشديدة وحبنا الاخوي لا ينقطع عند حالةٍ كهذه . فاطلعتهُ على الحقيقة واخبرتهُ كيف تعاهدت مع لوسيا على الاقتران فكان يسمع صامتاً شاخصاً الى ان فرغت من كلامي فوثب كالمجنون واندفع يشتمني ويعنفني ويمطر عليَّ سحباً من اللعنات ثم اخذ تمثال الجبس الذي كان قد اهداهُ لي عن المائدة فرمى بهِ الى الارض فتكسر قطعاً ثم عمد اليهِ برجليهِ فتركهُ كالدقيق . ولما فرغ من ذلك القى عليَّ نظرةً وحشية وقال سيصيبك ما اصاب تمثالك عن قريب فاستعدّ للموت . ثم خرج من الغرفة ودفع الباب دفعةً عنيفة ارتجّ لها البيت

اما انا فكنت كحالمٍ او كمن اصيب بدآء الجمود فاني لم اكن انتظر قط مثل ذلك من صديقٍ اعدّهُ اقرب اليَّ من اخي . ولم اعد ارى هنري في ذلك اليوم بل اجتهدت ان لا اراهُ قبل يومين رجآء ان تكون قد همدت شعلة غضبهِ ويمكنني ان اكلمهُ بلطف لاني ايقنت انهُ ولا بدّ سيندم على ما

فعل . وفي صباح اليوم الثالث ذهبت الى محلهِ فوجدت الباب مفتوحاً فدخلت فاذا بالبيت فارغٌ لا انيس بهِ وتحققت بعد ذلك ان هنري هجر البلدة واجتهدت كثيراً في الوقوف على شيء من خبرهِ فلم اتمكن ولبثت ابحث عنهُ مدة شهرين واكاتب اصدقآئي في كل ناحيةٍ فلم احصل على طائل. وكانت محبتي للوسيا تشغلني عن الاهتمام بهنري والسعي لاجلهِ زيادةً على ذلك فتركت البحث عنهُ ولم اتمكن حينئذٍ من الاقتران بلوسيا لحدادٍ كان في الأسرة . وبعد مضي سنةٍ من هذه الحادثة اي منذ نحو عشرين يوماً قدمت الى باريز لآخذ منها بعض الرسوم التي تلزمني في شغلي وبينما انا سائرٌ يوماً في شارع سان كلو شعرت بخطوات تجدُّ في اثري ثم بيدٍ أُلقيت على كتفي فنظرت فاذا بصديقي هنري فصافحتهُ وصافحني وهو خاشع الطرف حيآءً ثم قال اتيت يا عزيزي جورج اسألك صفحاً عما فرط مني منذ سنة مما قادني اليهِ الطبع الحادّ والموقف الذي كنت فيهِ فاني قد ندمت على ذلك كثيراً لعلمي بان ما فعلتهُ لم يكن منك عن قصد المزاحمة لي وما زالت الايام تزيدني ندماً على ما فعلت وتزيد رغبتي في مقابلتك وطلب الصفح عما فعلت غير ان اشغالي كانت تعوقني عن اتمام هذه الامنية وانا شاكرٌ للاتفاق الذي جمعني بك الآن فارجو منك ان لا تبخل عليَّ بيدك متجاوزًا عن اسآءتي ولا أشك ان قلبك الصادق لا يعصيك في ذلك . فعانقتهُ ملياً وسررت بتجديد صداقتنا ثم دعوتهُ لتناول العشآء معي في النزل الذي انا فيهِ فلبى شاكراً . وبينما نحن على المائدة اخبرني انهُ سافر على اثر تلك الحادثة الى باريز واقام في بيتٍ منفردٍ يسلي نفسهُ بعمل التماثيل التي كان يجد

بها لذةً عظيمة وقال لي اني صنعت في هذه الايام تمثالاً لا يبارَى وهو آية في الاتقان فلا بد من مجيئك الى بيتي لأريكهُ غير انهُ لا يزال فيهِ شيء من النقص وسينتهي بعد اسبوع فهل تعدني ان تأتي لتراهُ . قلت نعم ولكنك لم تدلني على منزلك، قال لو وصفتهُ لك لما امكنك ان تهتدي اليهِ بنفسك ولكني ساوافيك الاحد القادم مسآء الى هنا فنذهب معاً . ولما كان اليوم المعين وافى الصديق هنري فصحبتهُ الى بيتهِ وكان خارج باريز وبمعزل عن مساكن الناحية تحيط بهِ حديقةٌ واسعة الارجآء . فدخلنا ردهةً جميلة مزينة بالرسوم والمناظر البديعة والرياش الفاخر وبعد ان جلسنا حيناً وهو يقص عليَّ اخبارهُ في مدة غيابهِ عني قال تعال اريك التمثال حسب الوعد ثم سار امامي وانا اقتفي اثرهُ فرقي سلماً انتهى بنا الى الطبقة العلوية من البيت فدخلنا غرفةً فسيحة جدًّا مسقوفة بالزجاج هي محل شغل هنري وفيها تماثيل عديدة من الجبس بعضها تام وبعضها في اول صنعهِ . ورأيت في وسط الغرفة ستارٌ تحيط بتمثالٍ مرتفع فعلمت ان هذا هو التمثال الذي دعاني لمرآهُ وكان الى جانبٍ من الغرفة انآء كبير ملآن بالجبس المائع وانآء آخر فيهِ مآء واسطوانة حديدية فارغة طولها كطول قامة انسان فعلمت ان هنري يستعد لسكب تمثالٍ جديد .

ثم ان هنري استأذنني في غيبة خمس دقائق قائلاً اعذرني يا جورج فاني ذاهب لاحضر شيئاً من الشراب اذ ليس عندي احد من الخدم هنا. ولما خرج من الغرفة لاحظت في هيئتهِ وكلامهِ ما يدل على قلقٍ عظيم وخشيت للمرة الاولى من البقآء عندهُ لكني لم اكد اطلق لافكاري العنان حتى

عاد ضاحكاً ومعهُ زجاجتا شراب وكأسان فجلسنا الى مائدة وشربنا اولاً وثانياً وثالثاً على ذكر صداقتنا القديمة واجتماعنا الاخير . ثم سكب الكاس الرابعة وقال اشرب هذا بسرّ التمثال الذي ستراهُ فشربنا ونهض للحال فكشف الستائر عن التمثال ولا اقدر أن اصف ما ألمّ بي حين رأيته فانهُ كان تمثال خطيبتي لوسيا ومع علمي انهُ تمثالٌ كدت اظن انهُ هو نفس لوسيا لشدة مطابقتهِ لها . ثم التفت اليّ فقال قد صنعت هذا التمثال لاهديهُ لك فانك احق الناس باحرازهِ ولعلهُ يبرهن لك على صفآء ضميري من جهتك وتتاكد سلامة قلبي . ثم سكب كأساً اخرى وقال اشرب فأخذت الكأس وشربتها قائلاً هذه الكاس اشربها نخب صداقتك ونخب لوسيا التي ستكون زوجتي بعد قليل . وبعد ما شربتها شعرت بألم خفيف في معدتي فقعدت على الكرسي ونظرت فاذا بهنري قد جحظت مقلتاهُ واتقدت حدقتاهُ وطار من عينيهِ الشرر ونظر اليّ نظرة الوحش المفترس وصاح خسئت ايها الوغد فلن تدرك من لوسيا قلامة ظفر . لقد رماك القدر في يدي فسأسحقك بنعلي كما سحقت تمثالك من قبلك . فنهضت مسرعاً لامسكهُ قبل ان يخرج عياراً ناريّاً او آلةً اخرى قتالة ولكن وا اسفا كان قد استعمل سلاحهُ قبل ان انتبه وجرّعني في الكاس الاخيرة دوآءً منوّماً لانني لم اقف حتى شعرت بضبابة سودآء قد غطت عينيّ وعقبها انحلالٌ عام في جميع اعضآئي فسقطت الى الارض لا اعي شيئاً . . . . . .

ولم اشعر بعد ذلك الا بقوةٍ تضغط على صدري فاستيقظت وكان قد لاح الصباح فوجدت نفسي واقفاً في وسط الاسطوانة المذكورة آنفاً وهي

ملأى الى عنقي بالجبس الرطب وكان قد اخذ يتحجرّ وهو يضغط على جوانبي وصدري ويديَّ ضغطاً مؤلماً ولم يبقَ مني خارجاً عن الجبس سوى رأسي من العنق فما فوق . وكنت في وقوفي هذا بازآء تمثال لوسيا المذكور فصحت بهِ اوآه اين عيناكِ يا لوسيا تريان حبيبكِ جورج . واذا بهنري قد جاء ضاحكاً مقهقهاً ثم وقف امامي فقال ها قد جمد الجبس عليك يا جورج واصبحت انت والاسطوانة قطعةً واحدة فسأتركك ههنا امام تمثال لوسيا تمتع نظرك بمحاسنها الى ان تموت . ولا يخطرنَّ ببالك الخلاص من هذا القالب او المدفن فاني قد ارسلت كل خدمي منذ اول امس ولن يكون احدٌ منهم هنا قبل شهرين وسأسافر انا ايضاً في هذه المدة فستموت على تمام التأني والراحة في محلك هذا الذي لن تتخلص منهُ ما لم يأتك ملكٌ من السماء . وادركت قوة كلامهِ وعرفت موقفي وايقنت بالهلاك فاخذت ابتهل اليهِ واستعطفهُ واستحلفهُ بالشرف والصداقة فلم يجب بكلمة بل ضحك ساخراً ثم خرج وانا اسمع وقع قدميهِ الى ان بلغ الباب الخارجي فاقفلهُ وراءهُ وبقيت مكاني انتظر حلول اجلي

وكان السكوت سائدًا حولي وانا في تلك الحال فهلع قلبي ورأيت تمثال لوسيا ينظر اليَّ صامتاً فكدت أُجنّ ثم اعملت الفكرة لأجد لي مناصاً فلم ارَ وخطر لي ان اجتهد بأن أُسقط نفسي على الارض عسى ان يتكسر الجبس عني واتمكن من اخراج يديَّ فوجدت ان الاسطوانة مثبتة في الارض لا تتقلقل . وحينئذٍ يئست من النجاة وتأهبت لمقابلة الموت فشخصت الى تمثال لوسيا لأتزود من منظرها . وكان قد مال النهار واخذ الجوع مني مأخذاً

عظيماً وتضايقت من اشتداد الضغط على جسمي وكانت الضبابة السودآء تتكاثف امام وجهي وشعرت باقترابي شيئاً فشيئاً الى نهاية الحياة. وهناك تبادر الى مخيلتي تذاكارات كثيرة غبتُ بها عن عالم الحقيقة ودخلت ببطء في باب الموت . . . .

واني لكذلك واذا بصكّةٍ شديدة فوق رأسي عقبها تكسر الزجاج وسقوط بعض كسرهِ امامي فنظرت الى السقف فاذا بِرجل انسان متدلية الى داخل الغرفة فصحت بالنفس الاخير من هذا. ثم سمعت قائلاً يقول ارجو منك المعذرة يا سيدي واسألك ان لا تؤاخذني على ما جرى فلم يكن عن تعمدٍ واذا شئت فاني اعدك بالشرف اني اعود الى هنا غداً او بعدهُ فاعوض ثمن الزجاج الذي كسرتهُ . ورأيت ان القائل يجتهد في تخليص رجلهِ من الزجاج ليذهب من حيث اتى وتذكرت كلمات هنري انهُ يستحيل خلاصي ما لم ياتني ملك من السمآء. وشعرت بقوةٍ تجددت فيَّ فصحت بالرجل ان لا تذهب يا هذا وتعالَ انقذني فاني في خطر . فلم يصدق الرجل بل ظنني استدعيهِ لاقتصَّ منهُ على كسرهِ الزجاج فاخذت استغيث بهِ بصوتٍ يلين الجماد حتى اقتنع فقال افتح لي الباب اذاً لادخل عليك. قلت لا يمكنني ذلك فاكسر الزجاج الباقي وهلمَّ اليَّ باسرع ما يمكنك فانا في الدرجة الاخيرة . ولما رأى شدة الحاحي كسر من الزجاج ما يمكنهُ من المرور ووثب الى داخل الغرفة ولما رآني على تلك الحالة تعجب شديداً وسألني عن شأني فقلت سأُخبرك بكل شيء فاجتهد ما استطعت بتكسير هذا القالب وتخليصي فانهُ لم يعد يمكنني التنفس . فشمَّر الرجل عن ساعد الهمة

وبعد تعب ليس بقليل تمكن من تخليصي فكسر الجبس عني حتى خرجت من الاسطوانة ثم نزعت ثيابي ودخلت حمَّام البيت فاغتسلت وبعد ان استرحنا قليلاً جلسنا فسردت عليهِ قصتي بتمامها فتعجب غاية العجب وقال لا شك ان الله ارسلني اليك لانقاذك. وعلمت منهُ انهُ استاذٌ فلكيٌّ يزاول الاكتشافات الجوية في منطادٍ يركبهُ من محلٍ مخصوص بقرب باريز وانهُ في ذلك اليوم عصفت عليهِ ريح شديدة فعطَّلت بعض ادوات المنطاد فلم يتمكن من قيادتهِ الى حيث شآء بل ساقتهُ الرياح رغماً عنهُ وألقتهُ على سطح البيت فكان ما ذكرناهُ. فحمدنا كلانا الله على تدبيرهِ وخرجنا من ذلك الجحيم ثم ودعت الاستاذ شاكراً وعدت الى النزل الذي كنت فيهِ وكان هذا الامر قد اضرَّ بصحتي فانا لم ازل تحت المعالجة وانتظر نهاية هذا الشهر لأعود الى انكاترا فأقترن بلوسيا حسب الوعد

وكان وليم وزوجتهُ يعجبان من رواية جورج فهنآهُ بسلامتهِ واقام عندهما اياماً وفي نهاية الشهر رجع الى انكاترا فاقترن بلوسيا وعاد فقضى عند صديقيهِ شهر العسل

اما هنري فكان قد تغيب مدةً ولما عاد علم بما جرى من خلاص جورج واقترانهِ وكان الامر قد وُضع في يد الحكومة وشددت المراقبة لالقآء القبض عليهِ فلما بلغهُ ذلك عزم على السفر سرًّا غير ان مراقبي الحكومة لم يدعوا لهُ سبيلاً للهرب فقبضوا عليهِ وساقوهُ للمحاكمة فحكم عليهِ بالسجن المؤبد و بالاعمال الشاقة